الفصل الأول

وسائل الإعلام المعاصر

في الواقع المعاش يرى الإنسان ويلمس مدى تأثير وسائل الإعلام على الناس ، ولذلك ليس بعيداً أن يوصف هذا العصر بعصر الإعلام!!

صحيح أن العهود الماضية تتميز بعهود القوة العسكرية أو.. أو.. لكن اليوم تعتبر الدولة قوية ، ويعتبر المجتمع قوياً بقدر ما يملك من وسائل إعلام تؤثر بالآخرين .

وما حدث في حرب الخليج الثانية ـ عند إخراج العراقيين من دولة الكويت ـ لهو دليل حيٌّ واضحٌ على قوة تأثير الإعلام ، حيث استطاعت وسائل الإعلام الغربي أن تصوّر الجندي العراقي وهو يلثم أحذية الجندي الأمريكي ويتذلل بين يديه ويطلب منه السماح والمساعدة!!

أجل ، فالإنسان في هذا الزمان يُغزى إعلامياً وثقافياً ، بل ويُقتل إعلامياً ، لذلك جنَّد الغربيون جيوشاً من خبراء الإعلام وأصحاب الحملات الإعلانية وخبراء الدعاية ليقوموا بكل الحروب النفسية على الآخرين ، ليصبح الآخرون لقمة سائغةً في أفواه الجشعين...

وهذه المسألة ـ تأثير الإعلام ـ لا تنحصر بأمور الحرب والسلام فحسب ، بل تشمل كل المجالات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية..

لذلك نستطيع القول ـ ومن واقعنا العملي الملموس ـ إن كل شيءٍ في

هذه الأيام خاضع للإعلان والإعلام .

ولعل مسلسلاً واحداً تعرضه وسائل الإعلام ـ خاصة التلفزيون ـ له من التأثير أكثر من مائة مدرسة ومائة منبر ومن مائة واعظ ! !

فهل نقول : إن وسائل الإعلام المعاصر ما هي إلا مسكِّنات أو مخدرات ؟!

فما هي وسائل الإعلام المعاصرة ؟

يستطيع الباحث تقسيم الوسائل الإعلامية المعاصرة إلى عدة فئات ، أهمها :

آـ وسائل الإعلام المقروءة :

كالصحف والمجلات والكتب والنشرات ونحو ذلك .

وهذه الوسائل تعتبر من الوسائل الإعلامية واسعة الانتشار ، وهي قابلة للنقل والتحرّك ، وهي بعيدة التأثير بالآخرين ، ويمكن أن يستفيد منها عدد كبير من شرائح المجتمعات ، فالمثقف يستفيد من الأبحاث الأكاديمية المتخصصة فيها ، والرجل العادي يستفيد من الأخبار السريعة ، والأمور التي لا تعتمد على التحليل ونحو ذلك ، والتاجر يستفيد من مسألة الإعلانات وهكذا . . .

ويأتي تأثير الوسائل الإعلامية المقروءة على القارىء من خلال سحر الكلمة المكتوبة على النفوس ، لتدخل إلى الأذن ومن ثم إلى العقل والقلب دون استئذان ! ودون واسطة أيضاً !

وهكذا تستطيع وسائل الإعلام المقروءة أن تشجّع الفرد في تكوين شخصية تهتم بالثقافة ، ليستطيع التفاعل مع ما يجري من هذه التسارعات في تكوين الفكر والثقافة .

وبالتالي فكلما كانت وسائل الإعلام المقروءة تمتلك سمات وخصائص متميزة ـ كالمعرفة الناضجة الطازجة ومدى تفعيل الوحدة الاجتماعية والوحدة الثقافية للأفراد عامة ، ومدى تنشيط الحركة الاقتصادية ـ وما إلى هنالك ، كلما كانت هذه الوسائل تتسم بأكبر عدد من الخصائص ، كلما كانت أكثر تأثيراً .

لكن هل نقول عن الانترنيت إنه وسيلة إعلامية مقروءة ، أم لا ؟![1] .

ب ـ وسائل الإعلام المسموعة :

فيما مضى كان للشعر دورٌ كبير في قضايا الإعلام ، حيث كان الشاعر يمثل في العهود الماضية وسيلة إعلامية مميزة[2] .

ولعل ما يحمله الشعر من مزايا وصفات ـ كسهولة حفظه ، وحرارة عاطفته ، وعذوبة موسيقاه ، وما إلى هنالك ـ هو الذي أعطاه هذه الأهمية .

لذلك إذا كان الشعر نظيفاً وهادفاً أدى دوراً مهماً وكبيراً ، ولا ننسى الدور الفعّال الذي قام به شعراء الدعوة الإسلامية في عهد الرعيل الأول .

لذلك ورد في الصحاح والسير أن رسول الله ﷺ طلب من حسان بن ثابت توظيف شعره للمنافحة عن الرسول والمسلمين وبالتالي لتوظيفه لخدمة الدين الحنيف ، فقال عليه الصلاة والسلام : « أهجهم وروح القدس معك » ومن هجائه للزبرقان بن بدر قوله :

هجوتَ محمداً فأجبتُ عنه وعندَاللهِ في ذاكَ الجزاءُ

---

(١) للتوسع يراجع كتاب الانترنيت إيجابياته وسلبياته ، للمؤلف ٣٧ـ٥٤ .

(٢) للتوسع يراجع كتاب : الشعر والشعراء في ميزان الشريعة الإسلامية ، للمؤلف: ١٤٦ـ١٦٩ .

أتهجـــوه ولســـتَ لـــه بكـــفءٍ فشـــرُّكُمـــا لخيـــركمـــا الفـــداءُ
هجـــوتَ مبـــاركـــاً بَـــرّاً حنيفـــاً أميـــنَ اللهِ شيمتُـــهُ الـــوفـــاءُ
فمـــنْ يهجـــو رســـولَ اللهِ منكـــمْ ويمـــدحـــهُ وينصـــره ســـواهُ
فـــإن أبـــي ووالـــده وعـــرضـــي لعـــرض محمـــدٍ منكـــمْ وقـــاءُ

* * *

وهكذا كان حال الصحابي عبد الله بن رواحة رضي الله عنه ، فقد أوقف شعره على الدفاع عن الرسول والمسلمين ، وكأنه يقوم بدورِ الإعلامي الصادق النظيف ، لذلك نال الوسام من الرسول ﷺ ـ كما في صحيح البخاري ـ « إن أخاكم لا يرفث » وذلك عندما قال :

وفينـــا رســـول الله يتلـــو كتـــابـــه إذا انشق معروف من الفجر ساطعُ
أرانا الهدى بعد العمى فقلوبنا بـــه مـــوقنـــات أن مـــا قـــال واقـــع
يبيـت يجـافي جنبـه عـن فـراشـه إذا استثقلت بالكافرين المضاجعُ

* * *

وكان الرسول ﷺ ومن بعده من الخلفاء الراشدين يقومون بدور التصحيح الإعلامي لهذه الوسيلة ـ للشعر ـ الخطيرة ، ذلك لأن الشاعر إذا خرج عن طور الواقع وحلّق في الفراغ وأكثر من الفخر و. . . ، قد يعطي تأثيراً سلبياً .

مثال ذلك :

عندما جاء (النابغة الجعدي) إلى رسول الله ﷺ وأنشده :

أتيت رسول الله إذ جاء بالهدى ويتلـــو كتـــابـــاً كـــالمجـــرَّة نيِّـــراً
بلغنا السماء مجدنا ، وجدودنا وإنا لنرجو فوق ذلك مظهرا!!

فقال الرسول ﷺ وهو يُعيد الأمور إلى مجاريها : « إلى أين يا أبا ليلى ؟ » فقال النابغة : إلى الجنة يارسول الله .

فعقّب الرسول بقوله : « إن شاء الله تعالى » .

فتابع النابغة قوله ـ بعد أن سمع قول الرسول التصحيحي ـ :

ولا خير في حلم إذا لم تكن له بوادر تحمي صفوه أن يكدّرا
ولا خير في جهل إذا لم يكن له حليم إذا ما أورد الأمر أصدرا

وهذا كلام مطابق لأمور الشريعة ، فهو دعوة إلى التحلّي بمكارم الأخلاق ، لذلك قال النبي ﷺ له : « لا يفضضنَّ اللهُ فاكَ » .

* * *

هذا ما يتعلّق بالشعر كوسيلة إعلامية سمعية ، فماذا عن الخطابة ودورها في هذا المجال ؟

إذا كان الخطيب ناجحاً في إلقاء خطبته ، وذلك من خلال امتلاكه للعناصر المشوّقة في الخطبة ، وأهمها عنصر الإثارة ، حيث يستطيع من خلال تقديم الحجج ونحو ذلك ، يستطيع تهييج الجماهير ، وحثّها على أمرٍ ما أو ترك أمرٍ ما .

كذلك أن تكون طريقة إلقاء الخطبة إلقاءً ارتجالياً ، ليجعل المستمع يتابع حركاته ويسمع كلامه ، عندئذٍ يستطيعُ الخطيب تحقيق ما يريد .

أما أن تكون الخطبة مجرد أن يقف إنسان على أعواد المنبر ثم يُخرج ورقة من جيبه ، ثم يُلقيها على الناس ، فهذه ليست خطبة أبداً ، إنما هي مجرد قراءة لبعض الصفحات ، لذلك لا يتأثر المستمع بها .

وتؤكد الوقائع العملية أن الخطيب الناجح يؤثر بالمستمعين تأثيراً عجيباً ، فالخطبة ليست إلا موهبة إلٰهية ، إضافة إلى تدريبات معينة ،

فإشارة اليدين ، وتحركات الجسم ، وتعبيرات ملامح الوجه ، ونبرات الصوت . . كل هذا يؤدي إلى مزيدٍ من الإثارة ، بحيث ينتقل ذلك ـ وعن طريق العدوى ـ أو ما يشبه الحركة الموجيّة المتتابعة ، ليصبح ما يشبه التصوير الحسي . . من الخطيب إلى المستمعين ، لذلك ترى البعض يقلِّد حتى حركات الخطيب ! !

ومع ذلك فلا بدَّ من البرهان الخطابي ، فلا الحماس الفارغ يجدي ، ولا المعلومات الجامدة تغني ، إنما لابد من أن يراوح الخطيب بين البرهان المنطقي وبين البرهان العقلي ، وذلك من أجل مخاطبة كل الشرائح المجتمعة .

ولعل مدى صدق الخطيب وإخلاصه وتفاعله مع ما يقول هو الرأسمال الحقيقي الذي يعطي غاية النجاح ، فيصل كل ما يريده الخطيب إلى المستمعين (وما خرج من القلب دخل في القلب . .) ، لذلك إذا دمعت عينا خطيب صادق وجدت غالبية الحضور تدمع عيونهم وهكذا . . .

إذن :

هل هناك وسائل إعلام سمعية غير الشعر والخطابة ؟

أجل : هناك الندوات ـ بكل أشكالها ـ وهناك المناظرات ، وهناك المحاضرات و . . .

والأهم من ذلك كله هناك الإذاعة ، وهنا يكمن الخطر الكبير ! !

فمن طبيعة الإنسان ـ كما يقول العلماء ـ أنه حينما يريد تركيز ذهنه في فكرة ما يغمض عينيه ، وذلك كي تنشط ذاكرته ، وتتحرك مخيلته ، فتتعمق الفكرة وتقوى .

وهذا مايفعله المذياع في الناس ، فهو الذي يستيطع إيصال الأمر

الإعلامي عن طريق حاسة السمع وحدها ، ولا تمييز بين تلقي المثقف والعادي ، إنما لكل تحليلاته المناسبة له ، وهذا هو تأثير الإذاعة على كل الشرائح في المجتمع .

وبالفعل تعتبر الإذاعة وسيلة قوية التأثير وذلك لانتشارها بسبب ما تحمله من خصائص : فهي لا تكلف المستمع شيئاً ، ولا تكلفه جهداً ، ولا تأخذ وقته ، ولا تتطلب فراغاً . . .

ج ـ وسائل الإعلام البصرية :

وهي كثيرة ، مثل الملصقات ، والمنحوتات ، واللوحات الفنية ، والفولكلور الشعبي ، ونحو ذلك ، وكلها تعتمد على الإثارة اللونية ، لذلك فلها آثار سريعة في نفس المشاهد .

د ـ وسائل الإعلام السمعية البصرية :

وهي التي تعتمد على حاستين من أجل إيصال المعلومة ، وهما :

حاسة البصر وحاسة السمع .

والواقع أن هذا النوع من الوسائل له تأثير كبير جداً على عقول ونفسيات الناس ، وذلك لأن الهدف من وراء ما يطرحه هذا النوع من الإعلام يترسخ في النفوس من خلال ما يدخل في النفوس عن طريق ما يسمع المشاهد ويرى ، ومن أهم تلك الوسائل :

المسرح : وما يقدم عليه من قصص ومسرحيات ، فإذا كانت هادفة أعطت نتائج حسنة ، وإلا أدت إلى تخريب السلوك وغسل الدماغ!

لكن هناك ما هو أقوى من المسرح تأثيراً وهو التلفاز :

وذلك لأن التلفاز أكثر رواجاً في المجتمعات وأقل تكلفة ، ولا يحتاج إلى تفرغ وقت محدد ، إنما يستطيع المشاهد أن يشاهد

ساعات من البث التلفزيوني وهو مستلقٍ في بيته ، يرتاح من عناء العمل و. . . ، وتستطيع ربة المنزل أن تقوم ببعض الأعمال المنزلية ونحو ذلك . .

لذلك ومن خلال أن التلفاز يشغل حاستين من حواس المشاهد : وهما السمع والبصر ، كان له الدور الأكبر في مسألة توصيل الرسالة الإعلامية .

حتى الخيال لا يتحرك أثناء مشاهدة البرامج التلفزيونية ، فيصبح الإنسان ـ بحقٍّ ـ أسير التلفاز ويصبح لا يدري ما حدث حوله . . ! !

من هنا نعرف سر اهتمام الغرب ونحوه بالبث التلفزيوني ، وخاصة عن طريق الأجهزة الفضائية والستلايت ، فهناك بعض الدول تملك أكثر من (٧) سبع محطات تبث على مدار (٢٤) ساعة . . .

ويستطيع المتلقي ـ اليوم ـ أن يشاهد كل ما يدور في العالم ، عن طريق الصحون المقعرة وليس في ذلك غضاضة إذا كان يُحسن الغربلة والانتقاء ، وذلك لأن الفضائيات منها الهادف الذي يقدم البرامج الحسنة النافعة ، ومنها الساقط الذي يهدف إلى تهييج الغرائز الجنسية والسعار الجنسي الفاضح بل والشذوذات الجنسية ! !

إضافة إلى الإشاعات التي تُطلقها بعض الفضائيات لإسقاط مواقع المسلمين هنا أو هناك ، أو من أجل إرباك ساحة زيدٍ أو عمرٍ . . . لكن الله قال في القرآن : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [النور : ١٩] .

* * *